

الملائكة والشياطين
المحاضرة ٥: الملائكة الرسل
أ.ر. سي. سرول

نتابع الآن دراستنا للعقيدة الكتابية عن الملائكة. وبينما نستكمل الدراسة اليوم، سنتناول بشكلٍ أساسيٍّ وظيفتهم كرسُلٍ في تاريخ الفداء. وإذا سمح الوقت، سنتناول العلاقة بين الملائكة والمسيح، لأنَّ هذه مسألةٌ مهمَّةٌ تبرز في صفحات العهد الجديد.

لكن لنعدَّ إلى الأصحاح ١ من إنجيل لوقا، حيث نجد الروايات الأكثر اكتمالاً عن طفولة المسيح في الأناجيل كلها. وسنبدأ من الأصحاح ١، والآية ٥، حيث نقرأ:

كَانَ فِي أَيَّامِ هِيرُودَسَ مَلِكِ الْيَهُودِيَّةِ كَاهِنٌ اسْمُهُ زَكَرِيَّا مِنْ فِرْقَةٍ أُبَيَّا، وَامْرَأَتُهُ مِنْ بَنَاتِ هَارُونَ وَاسْمُهَا أَلِيصَابَاتُ. وَكَانَا كِلَاهُمَا بَارِّينِ أَمَامَ اللَّهِ، سَالِكِينَ فِي جَمِيعِ وَصَايَا الرَّبِّ وَأَحْكَامِهِ بِلا لَوْمٍ. وَلَمْ يَكُنْ لهُمَا وَلَدٌ، إِذْ كَانَتْ أَلِيصَابَاتُ عَاقِرًا. وَكَانَا كِلَاهُمَا مُتَقَدِّمِينَ فِي أَيَّامِهِمَا. فَبَيْنَمَا هُوَ يَكُونُ فِي تَوْبَةٍ فِرْقَتِهِ أَمَامَ اللَّهِ، حَسَبَ عَادَةِ الْكَهَنُوتِ، أَصَابَتْهُ الْفُرْعَةُ أَنْ يَدْخُلَ إِلَى هَيْكَلِ الرَّبِّ وَيُبْحَرَ. وَكَانَ كُلُّ جُمْهُورِ الشَّعْبِ يُصَلُّونَ خَارِجًا وَقْتَ الْبُحُورِ. فَظَهَرَ لَهُ مَلَاكُ الرَّبِّ وَاقِفًا عَنْ يَمِينِ مَذْبَحِ الْبُحُورِ. فَلَمَّا رَأَاهُ زَكَرِيَّا اضْطَرَبَ وَوَقَعَ عَلَيْهِ خَوْفٌ.

تعلّمون ما يجري هنا: ففي هذه الفترة من التاريخ كان زكريّا لاويًا - كاهنًا لاويًا - وكان لدى اليهود موضع عبادة مركزي في هيكل أورشليم. وكانت الفرعة تُلقَى بين الكهنة المحليين من مختلف المناطق في الأمة، فبيتم اختيارهم، إن كانوا سعيدي الحظ كفاية، مرّةً واحدةً خلال حياتهم، للخدمة في هيكل أورشليم. إذن، كان أوّل شعاع نور، إن جاز التعبير، في حياة زكريّا هو أنّه فاز بالفرعة، وريح الجائزة الكبرى. وبالنسبة إليه، كان الصعود إلى أورشليم والمشاركة في الخدمة في الهيكل خبرة لا تُنسى. وكان دوره أن يدخل ويرفع الصلاة عند مذبح البخور في المقدس، أي في القدس. وعندما يدخل الكاهن، كان يصلي لأجل الأمة، ولذا كان ذلك يجذب دائمًا كثيرًا من الناس، الذين يجيئون بالهيكل ويراقبون الكاهن وهو يدخل، ويتنظرون خروجه. يكاد هذا يشبه شعب روما عند انتخاب البابا. تتكتل جموع الشعب الغفيرة حول الفاتيكان، ويراقبون المدخنة ليرؤا الدخان المتصاعد منها، إن كان أسود أم أبيض اللون. فإن كان أسود، فهذا يعني أنّ التصويت أحقّق في انتخاب بابا جديد. وإن كان أبيض، فهذا يعني أنّه تمّ انتخاب بابا جديد، فيثور حماس الشعب حين يرون العلامة.

حَسَنًا، كَانَ الْأَمْرُ ذَاتَهُ يَجْدُثُ حِينَ يَجْتَمِعُ النَّاسُ حَوْلَ الْهَيْكَلِ وَيَنْتَظِرُونَ عَوْدَةَ الْكَاهِنِ، لِأَنَّهُ إِنْ خَرَجَ سَرِيعًا، فَهَذَا يَعْنِي أَنَّ الصَّلَاةَ رُفِعَتْ، وَأَنَّ اللَّهَ اسْتَجَابَ لِتَشْفُوعِ الْكَاهِنِ. لَكِنْ هُنَا، حَدَثَ تَأْخِيرٌ، وَكَانَ سَبَبُ التَّأْخِيرِ هُوَ ذَلِكَ الْحَدَثُ الْفَاصِلُ وَالْمُفَاجِئُ تَمَامًا فِي حَيَاةِ زَكَرِيَّا، الَّذِي وَقَعَ وَهُوَ يَخْدُمُ فِي الْهَيْكَلِ. فَفَجْأَةً، ظَهَرَ لَهُ مَلَاكٌ. وَلَا حِظْوًا رَدَّ الْفِعْلِ الَّذِي سَجَلَهُ النَّصُّ الْكِتَابِيُّ، قَائِلًا: "فَلَمَّا رَأَاهُ زَكَرِيَّا اضْطَرَبَ وَوَقَعَ عَلَيْهِ خَوْفٌ".

هَذَا جَدِيرٌ بِالْمَلَاخِظَةِ لِهَذَا السَّبَبِ. فَقَدْ ذَكَرْنَا أَنَّ الْمُنْظُورَ الْكِتَابِيَّ لَا يُفْهَمُ بِمَعْرِزِلٍ عَنِ التَّعْلِيمِ الْكِتَابِيِّ عَنِ حَقِيقَةِ عَالَمِ الْمَلَائِكَةِ. لَكِنْ فِي مُجْتَمَعِنَا وَعَصْرِنَا هَذَا، هُنَاكَ نَوْعٌ مِنَ التَّشَكُّكِ نُجَاهَ هَذِهِ الْأُمُورِ، لِأَنَّ النَّاسَ يَقُولُونَ إِنَّ رُؤْيَا الْمَلَائِكَةِ لَيْسَتْ جُزْءًا مِنْ خِبْرَتِنَا الْمُعْتَادَةِ. ثُمَّ نَأْتِي إِلَى الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، وَنَرَى هَذِهِ الْأَحْدَاثَ فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ وَنَفْتَرِضُ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ كَانُوا يَظْهَرُونَ كُلَّ ١٥ دَقِيقَةً عِبْرَ الْعَهْدَيْنِ الْقَدِيمِ وَالْجَدِيدِ. لَيْسَ هَذَا صَحِيحًا. فَمَعَ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ كَانُوا يَظْهَرُونَ بِالْفِعْلِ مِنْ آنٍ لِآخَرَ، كَانَ الظُّهُورُ الْمُنْظُورُ لِأَحَدٍ هَذِهِ الْكَاثِنَاتِ الرُّوحِيَّةِ نَادِرًا بِصُورَةٍ لِأَفْتَةٍ، كَمَا رَأَيْنَا فِي الْمُحَاصِرَةِ السَّابِقَةِ، أَنَّهُمْ كَانُوا عَادَةً غَيْرَ مَرْتَيْنِ، مِثْلَمَا حَدَّثَ مَعَ أَلِيشَعَ وَعُغْلَامِهِ، إِذِ اضْطَرَّ أَنْ يُصَلِّيَ لِتَنْفِثِ عَيْنَا عُغْلَامِهِ فَيَرَى الْوَاقِعَ الْقَائِمَ، الَّذِي كَانَ عَادَةً غَيْرَ مَرْتَيْنِ. وَحِينَ نَرَى أَنَّ الْخَوْفَ تَمَلَّكَ مِنْ هَذَا الْكَاهِنِ لَدَى ظُهُورِ الْمَلَاكِ، يَجِبُ أَنْ تَنْتَبَهَ إِلَى نُدْرَةِ هَذَا النَّوْعِ مِنَ الْخِبْرَاتِ، حَتَّى آتِدَاكَ. إِذَنْ، بِتَعْبِيرٍ آخَرَ، لَمْ يَكُنْ زَكَرِيَّا مُعْتَادًا عَلَى لِقَاءِ الْمَلَائِكَةِ وَالتَّكَلُّمِ مَعَهُمْ كُلَّ يَوْمٍ.

فَقَالَ لَهُ الْمَلَاكُ: "لَا تَخَفْ يَا زَكَرِيَّا، لِأَنَّ طِلْبَتَكَ قَدْ سُمِعَتْ، وَامْرَأَتُكَ أَلْيَصَابَاتُ سَتَلِدُ لَكَ ابْنًا وَتُسَمِّيهِ يُوْحَنَّا. وَيَكُونُ لَكَ فَرْحٌ وَابْتِهَاجٌ، وَكَثِيرُونَ سَيَفْرَحُونَ بِوِلَادَتِهِ، لِأَنَّهُ يَكُونُ عَظِيمًا أَمَامَ الرَّبِّ، وَخَمْرًا وَمُسْكِرًا لَا يَشْرَبُ، وَمِنْ بَطْنِ أُمِّهِ يَمْتَلِئُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ". فَقَالَ زَكَرِيَّا لِلْمَلَاكِ: "كَيْفَ أَعْلَمُ هَذَا، لِأَنِّي أَنَا شَيْخٌ وَامْرَأَتِي مُتَقَدِّمَةٌ فِي أَيَّامِهَا؟". فَأَجَابَ الْمَلَاكُ وَقَالَ لَهُ: "أَنَا جِبْرَائِيلُ الْوَاقِفُ قُدَّامَ اللَّهِ، وَأُرْسَلْتُ لِأَكَلِّمَكَ وَأُبَشِّرَكَ بِهِذَا. وَهَذَا أَنْتَ تَكُونُ صَامِتًا وَلَا تَقْدِرُ أَنْ تَتَكَلَّمَ، إِلَى الْيَوْمِ الَّذِي يَكُونُ فِيهِ هَذَا، لِأَنَّكَ لَمْ تُصَدِّقْ كَلَامِي الَّذِي سَيَتِمُّ فِي وَقْتِهِ".

إِذَنْ، عَرَّفَ الْمَلَاكُ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ الْمَلَاكُ جِبْرَائِيلُ. فَقَطَّ مَلَكَانِ فِي كُلِّ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ ذِكْرًا بِالْإِسْمِ - مِيخَائِيلُ، الَّذِي تَحَدَّثْنَا عَنْهُ قَبْلًا، وَالْآنَ جِبْرَائِيلُ الَّذِي ظَهَرَ. وَقِيلَ إِنَّ كُلًّا مِنْ مِيخَائِيلَ وَجِبْرَائِيلَ كَانَا مَبْعُوثَيْنِ مُرْسَلَيْنِ مِنْ مَحْضَرِ اللَّهِ، وَهُمَا مِنْ رُتْبَةِ رُؤَسَاءِ الْمَلَائِكَةِ، أَوْ قَادَةِ جُنْدِ السَّمَاءِ. وَلَا حِظْوًا أَنْ أَوَّلَ وَظِيفَةٍ تَوَلَّاهَا جِبْرَائِيلُ فِي هَذَا السِّيَاقِ هِيَ أَنْ يَكُونَ أَوَّلًا رَسُولًا. فَقَدْ سَلَّمَ رِسَالَةً، وَأَعْلَنَ خَبْرًا. فَقَدْ اظْلَعَّ زَكَرِيَّا عَلَى مَا سَيَحْدُثُ. لَكِنَّهُ لَمْ يَنْفُذْ رِسَالَةً فَحَسَبُ، بَلْ أَيْضًا نَطَقَ بِأَمْرِ اللَّهِ. إِذَنْ، هُوَ لَيْسَ مُجَرَّدَ رَسُولٍ، أَوْ عَامِلٍ تَوْصِيلٍ، يُرْسَلُ لِتَنْقُلَ بَعْضَ الْمَعْلُومَاتِ، لَكِنَّهُ جَاءَ مِنْ مَحْضَرِ اللَّهِ حَامِلًا سُلْطَانَ التَّفْوِيضِ الْإِلَهِيِّ، لِیَأْمُرَ زَكَرِيَّا بِفِعْلِ أُمُورٍ مُعَيَّنَةٍ. وَأَحَدُ الْأَشْيَاءِ الَّتِي أَمَرَهُ بِهَا هُوَ

أَنَّ هَذَا الطِّفْلَ الَّذِي سَيُولَدُ يَجِبُ أَنْ يَتَّبِعَ سُلُوكًا مُعَيَّنًا فِي حَيَاتِهِ، شَبِيهَا بِنَمَطِ حَيَاةِ النَّذِيرِ، وَأَنَّ اسْمَهُ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ يُوحَنَّا. وَفِي التَّقْلِيدِ الْيَهُودِيِّ، تَدُلُّ تَسْمِيَةُ أَحَدِهِمْ لِشَخْصٍ أَوْ شَيْءٍ عَلَى سُلْطَانِهِ عَلَى ذَلِكَ الشَّيْءِ أَوْ ذَلِكَ الشَّخْصِ.

تَذَكَّرُوا أَنَّ أَوَّلَ مُهِمَّةٍ كَلَّفَ بِهَا اللَّهُ الْبَشَرَ فِي جَنَّةِ عَدْنِ هِيَ تَسْمِيَةُ الْحَيَوَانَاتِ، وَهُوَ مَا يُبَيِّنُ سِيَادَةَ الْبَشَرِ عَلَى مَمْلَكَةِ الْحَيَوَانَاتِ. لَمْ تُسَمَّ الْحَيَوَانَاتُ آدَمَ وَحَوَاءَ، بَلْ آدَمُ وَحَوَاءُ سَمَّيَا الْحَيَوَانَاتِ. وَعَبَّرَ التَّارِيخُ، عَبَّرَ التَّارِيخَ الْكِتَابِيُّ، حِينَ كَانَ الْأَوْلَادُ يُوَلَدُونَ، كَانَ وَالِدَا الطِّفْلِ هُمَا مَنْ يَتَمَتَّعَانِ بِسُلْطَةِ تَسْمِيَتِهِ. لَكِنَّ فِي طُرُوفِ نَادِرَةٍ، كَانَ الْوَالِدَانِ يُحْرَمَانِ مِنْ هَذِهِ السُّلْطَةِ، إِذْ يَتَدَخَّلُ اللَّهُ فِي الْمَوْقِفِ بِشَكْلِ مَا قَائِلًا: "هَذَا الْوَلَدُ سَيُحْدِثُنِي بِطَرِيقَةٍ خَاصَّةٍ، وَلِهَذَا فَإِنِّي أَحْتَفِظُ لِتَفْسِي بِالْحَقِّ فِي تَسْمِيَتِهِ. لِذَا لَنْ نُسَمِّهِ". إِذْنًا، أَمَّا الْمَلَائِكَةُ مِنْ مَحْضَرِ اللَّهِ وَقَالَ: "اسْمِعْ، لَنْ نُسَمِّي ابْنَكَ زَكَرِيَّا الصَّغِيرَ، وَلَنْ تَدْعُوهُ عَلَى اسْمِ عَمِّهِ إِبْرَاهِيمَ، بَلْ يَكُونُ اسْمُهُ يُوحَنَّا".

بِالطَّبْعِ، كَانَ مَا حَدَثَ مُذْهِلًا. فَقَدِ ارْتَبَكَ زَكَرِيَّا فِي عَدَمِ إِيمَانٍ، وَلَمْ يَعْرِفْ مَا يَجِبُ أَنْ يَفْعَلَ. وَلِهَذَا قَالَ الْمَلَائِكَةُ: "وَمَا أَنْتَ تَكُونُ صَامِتًا إِلَى الْيَوْمِ الَّذِي يَكُونُ فِيهِ هَذَا". تَذَكَّرُوا بَقِيَّةَ الْقِصَّةِ. فَبَعْدَمَا أُتِجِبَتْ زَوْجَتُهُ الطِّفْلَ، وَاجْتَمَعَ الْأَطْفَالُ - أَقْصَدُ اجْتَمَعَتِ الْعَائِلَةُ كُلُّهَا لِتَسْمِيَةِ الْوَلَدِ، مِنْ الْمُؤَكَّدِ أَنَّهُمْ اقْتَرَحُوا أَسْمَاءَ مُخْتَلِفَةً. لَكِنَّ بِلُغَةِ الْإِشَارَةِ، طَلَبَ زَكَرِيَّا لَوْحًا وَكَتَبَ عَلَيْهِ: "يَكُونُ اسْمُهُ يُوحَنَّا"، خَاصِعًا بِهَذَا لِلسُّلْطَةِ التَّكْلِيفِ الَّذِي تَلَقَّاهُ مِنْ جِبْرَائِيلَ. وَحِينَ أَظْهَرَ طَاعَتَهُ، اسْتَعَادَ قُدْرَتَهُ عَلَى الْكَلَامِ.

إِذْنًا مَرَّةً أُخْرَى، مَا أَرِيدُ أَنْ نَرَاهُ هُنَا لَا يَتَعَلَّقُ كَثِيرًا بِزَكَرِيَّا، بَلْ بِمَعْرِفَةِ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ هُوَ رَسُولٌ. لَكِنَّهُ أَكْثَرَ مِنْ مُجَرَّدِ رَسُولٍ. فَهُوَ مُتَحَدِّثٌ رَسْمِيٌّ، يَحْمِلُ مَا لَا يَقِلُّ عَنِ سُلْطَانِ اللَّهِ. وَلَيْسَ هَذَا هُوَ الْمَوْضِعُ الْوَحِيدُ فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ الَّذِي نَرَى فِيهِ الْمَلَائِكَةُ يَعْمَلُونَ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ. وَسَتَتَنَاوَلُ لَاحِقًا ...

حَسَنًا، أَوَّلًا، لِيَرَدَ فِعْلُ الشَّعْبِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ. فِي الْآيَةِ ٢١: "وَكَانَ الشَّعْبُ مُنْتَظِرِينَ زَكَرِيَّا وَمُتَعَجِّبِينَ مِنْ إِبْطَائِهِ فِي الْهَيْكَلِ. فَلَمَّا خَرَجَ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُكَلِّمَهُمْ، فَفَهَمُوا أَنَّهُ قَدْ رَأَى رُؤْيَا فِي الْهَيْكَلِ. فَكَانَ يَوْمِي إِيْلَهُمْ وَبَقِيَ صَامِتًا".

ثُمَّ نَقْفِرُ إِلَى الْآيَةِ ٢٦، حَيْثُ نَقْرَأُ: "وَفِي الشَّهْرِ السَّادِسِ أُرْسِلَ جِبْرَائِيلُ الْمَلَائِكَةُ مِنَ اللَّهِ إِلَى مَدِينَةٍ مِنَ الْجَلِيلِ اسْمُهَا نَاصِرَةُ، إِلَى عَذْرَاءَ مَحْطُوبَةٍ لِرَجُلٍ مِنْ بَيْتِ دَاوُدَ اسْمُهُ يُوسُفُ. وَاسْمُ الْعَذْرَاءِ مَرِيَمُ. فَدَخَلَ إِلَيْهَا الْمَلَائِكَةُ وَقَالَ: "سَلَامٌ لَكَ أَيَّتُهَا الْمُنْعَمُ عَلَيْهَا! الرَّبُّ مَعَكَ. مُبَارَكَةٌ أَنْتِ فِي النَّسَاءِ".

هَذِهِ أَوَّلُ مَرَّةٍ نَقْرَأُ فِيهَا مَا صَارَ يُعْرَفُ لَاحِقًا بِصَلَاةِ "السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مَرِيَمُ"، وَهِيَ جُزْءٌ مِنْ صَلَوَاتِ الْكَنِيسَةِ الْكَاثُولِيكِيَّةِ. "السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مَرِيَمُ، يَا مُمْتَلِئَةَ نِعْمَةٍ، الرَّبُّ مَعَكَ. مُبَارَكَةٌ أَنْتِ بَيْنَ النَّسَاءِ وَمُبَارَكَةٌ ثَمَرَةٌ بَطْنِكَ، يَسُوعُ. يَا قَدِيسَةُ مَرِيَمُ، يَا وَالِدَةَ اللَّهِ، صَلِّ لِأَجْلِنَا نَحْنُ الْخَطَاةُ، الْآنَ وَفِي سَاعَةِ مَوْتِنَا، آمِينَ". هَذَا جُزْءٌ أَسَاسِيٌّ مِنْ

الصَّلَوَاتِ فِي الْكَنِيسَةِ الْكَاثُولِيكِيَّةِ، وَهُوَ مَأْخُودٌ مِنْ هَذَا النَّصِّ مُبَاشَرَةً، حَيْثُ قَالَ الْمَلَائِكَةُ: "آفِي مَارِيَا". وَمَا مَعْنَى ذَلِكَ؟ "آفِي" هِيَ التَّرْجُمَةُ الرُّومَانِيَّةُ أَوِ اللَّاتِينِيَّةُ لِلتَّحِيَّةِ الْمُعْتَادَةِ، مِثْلُ "مَرْحَبًا"، أَوْ حِينَ نَقُولُ "سَلَامٌ" لِأَحَدِهِمْ. وَإِنْ كُنْتَ تَعِيشُ فِي جَنُوبِ الْوِلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةِ، لَا تَقُولُ "Hello"، وَلَا "Hail"، بَلْ مَاذَا؟ "Hey". إِذَا، كَانَتْ هَذِهِ هِيَ التَّحِيَّةُ، كَمَا لَوْ أَنَّهُ يَقُولُ: "مَرْحَبًا يَا مَرْيَمَ". وَصَلَاةُ "آفِي مَارِيَا" هَذِهِ مَأْخُودَةٌ مِنْ هَذَا الْمَقْطَعِ الْكِتَابِيِّ، عَنِ زِيَارَةِ الْمَلَائِكَةِ جِبْرَائِيلَ لِلْفَتَاةِ الرَّيْفِيَّةِ، مَرْيَمَ، حِينَ جَاءَ ثَانِيَةً مِنْ مُحَضَّرِ اللَّهِ لِإِعْلَانِ الْمِيلَادِ الْوَشِيكَ لِلْمَسِيَّا.

"سَلَامٌ لَكَ أَيَّتُهَا الْمُنْعَمُ عَلَيْهَا! الرَّبُّ مَعَكَ. مُبَارَكَةٌ أَنْتِ فِي النَّسَاءِ". فَلَمَّا رَأَتْهُ اضْطَرَبَتْ مِنْ كَلَامِهِ، وَفَكَرَتْ: "مَا عَسَى أَنْ تَكُونَ هَذِهِ التَّحِيَّةُ!". إِذَنْ، هِيَ أَيْضًا تَمَلَّكَهَا الْخَوْفُ فِي ذَلِكَ الْإِقَاءِ.

فَقَالَ لَهَا الْمَلَائِكَةُ: "لَا تَخَافِي يَا مَرْيَمَ، لِأَنَّكَ قَدْ وَجَدْتَ نِعْمَةً عِنْدَ اللَّهِ. وَهَا أَنْتِ سَتَحْبَلِينَ وَتَلِدِينَ ابْنًا وَتُسَمِّيَنَّهُ يَسُوعَ. هَذَا يَكُونُ عَظِيمًا، وَإِنَّ الْعَلِيَّ يُدْعَى، وَيُعْطِيهِ الرَّبُّ الْإِلَهَ كُرْسِيَّ دَاوُدَ أَبِيهِ، وَيَمْلِكُ عَلَى بَيْتِ يَعْقُوبَ إِلَى الْأَبَدِ، وَلَا يَكُونُ لِمُلْكِهِ نِهَائِيَّةً". فَقَالَتْ مَرْيَمُ لِلْمَلَائِكَةِ: "كَيْفَ يَكُونُ هَذَا وَأَنَا لَسْتُ أَعْرِفُ رَجُلًا؟". فَأَجَابَ الْمَلَائِكَةُ وَقَالَ لَهَا: "الرُّوحُ الْقُدُسُ يَحُلُّ عَلَيْكَ، وَقُوَّةُ الْعَلِيِّ تُظَلِّلُكَ، فَلِذَلِكَ أَيْضًا الْقُدُّوسُ الْمَوْلُودُ مِنْكَ يُدْعَى ابْنُ اللَّهِ. وَهُوَذَا أَلْيَصَابَاتُ نَسِيبَتِكَ هِيَ أَيْضًا حُبْلَى بِابْنٍ فِي شَيْخُوخَتِهَا، وَهَذَا هُوَ الشَّهْرُ السَّادِسُ لِتِلْكَ الْمَدْعُوعَةِ عَاقِرًا، لِأَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ غَيْرٌ مُمَكِّنٌ لَدَى اللَّهِ".

اسْمَعُوا الْآنَ رَدَّ مَرْيَمَ فِي الْآيَةِ ٣٨: "فَقَالَتْ مَرْيَمُ: "هُوَذَا أَنَا أَمَةٌ الرَّبِّ. لِيَكُنْ لِي كَقَوْلِكَ". فَصَضَى مِنْ عِنْدِهَا الْمَلَائِكَةُ". تِلْكَ الْآيَةُ بِالذَّاتِ الَّتِي قَرَأْتَهَا لِتَوَيِّ هِيَ مَثَارُ جَدَلٍ صَخْمٍ فِي تَارِيخِ الْكَنِيسَةِ، وَهَذَا الْجَدَلُ مُسْتَمِرٌّ حَتَّى يَوْمَنَا هَذَا. وَفِي الْكَنِيسَةِ الْكَاثُولِيكِيَّةِ، يُوجَدُ فَرِيقَانِ مُنْقَسِمَانِ لَاهُوتِيًّا بِشِدَّةٍ مِنْ حَيْثُ فَهْمُهُمَا لِدَوْرِ مَرْيَمَ فِي تَارِيخِ الْفِدَاءِ. وَيُدْعَى هَذَانِ الْفَرِيقَانِ "الْمُبَالِغِينَ وَالتَّقْلِيلِيِّينَ". يَرَى التَّقْلِيلِيُّونَ أَنَّ مَرْيَمَ تَلْعَبُ دَوْرًا مُهِمًّا، لَكِنَّهُمْ يُبَسِّطُونَ مِنْ هَذَا الدَّوْرِ. أَمَّا الْمُبَالِغُونَ، فَيَذْهَبُونَ إِلَى حَدِّ اسْتِرَاكِهَا فِي الْفِدَاءِ، وَمَا شَابَهُ ذَلِكَ، وَيُؤَيِّدُونَ مَا يُسَمُّونَهُ بِالتَّوَازِي بَيْنَ حَوَاءَ وَمَرْيَمَ. فَفِي الْعَهْدِ الْجَدِيدِ، لَدَيْنَا تَوَازٍ بَيْنَ التَّأْثِيرِ الْمُدْمِرِ لِأَدَمَ، وَالتَّأْثِيرِ الْفِدَائِيِّ لِلْمَسِيحِ بِصِفَتِهِ آدَمَ الْجَدِيدِ. وَالْأَمْرُ كَذَلِكَ فِي التَّوَازِي بَيْنَ حَوَاءَ وَمَرْيَمَ. فَكَمَا بِامْرَأَةِ وَاحِدَةٍ عَرِقَ الْعَالَمُ فِي الْخُرَابِ بِسَبَبِ عَصِيَانِهَا، الْآنَ بِطَاعَةِ امْرَأَةٍ أُخْرَى، هِيَ مَرْيَمُ، جَاءَ الْفِدَاءُ إِلَى الْعَالَمِ. فَهُمْ يُبَالِغُونَ فِي تَقْدِيرِ مَكَانَتِهَا.

وَفِي سِيَاقِ ذَلِكَ الْجَدَلِ كُلِّهِ، هُنَاكَ إِشَارَةٌ إِلَى مَا يُسَمَّى "فِيَاثَ مَرْيَمَ". لَيْسَ هَذَا نَوْعَ سَيَّارَةٍ. بَلْ "فِيَاثَ" هُوَ بِبَسَاطَةٍ صَبِيغَةُ الْأَمْرِ اللَّاتِينِيَّةِ لِلْفِعْلِ "يَكُونُ". لِاحْظُوا أَنَّهُ حِينَ أُعْطِيَ جِبْرَائِيلُ هَذَا الْإِعْلَانَ لِمَرْيَمَ، بِأَنَّ الرُّوحَ الْقُدُسَ سَيُظَلِّلُهَا، وَسَتَلِدُ الطِّفْلَ الَّذِي سَيَكُونُ ابْنُ اللَّهِ، وَمَا إِلَى ذَلِكَ، جَاءَ رَدُّهَا كَالتَّالِي: "لِيَكُنْ لِي كَقَوْلِكَ"، لِيَكُنْ ذَلِكَ. إِذَنْ، هِيَ

تَقُولُ: "هَيَّا نَقْدِ الأَمْرَ". وَجَاءَ رُدُّهَا عَلَى المَلَاكِ فِي صِيعَةِ الأَمْرِ، لِأَنَّ الكَلِمَةَ اللَاتِينِيَّةَ "فِيَاث" وَرَدَتْ هُنَا. "لِيَكُنِ الأَمْرُ كَمَا تَشَاءُ" إِلَى آخِرِهِ.

إِذَنْ، تَقُولُ النِّظَرِيَّةُ إِنَّ المَسِيحَ لَمْ يَكُنْ يُمْكِنُ أَنْ يُولَدَ دُونَ الأَمْرِ، أَوْ فِعْلِ الأَمْرِ، الَّذِي نَطَقَتْ بِهِ مَرِيَمٌ، فِي حِينِ أَنَّ الفَهْمَ البُرُوتِسْتَانِيَّ لِهَذَا النِّصِّ هُوَ أَنَّ تَعْبِيرَ مَرِيَمَ كَانَ تَأَكِيدًا لِخُضُوعِهَا لِسُلْطَانِ اللهِ، الَّذِي جَاءَتْهَا مِنْهُ رِسَالَةٌ. وَهَذِهِ إِشَارَةٌ، لَا إِلَى سُلْطَانِهَا عَلَى جِبْرَائِيلَ، بَلْ إِلَى اسْتِعْدَادِهَا، كَأَمَةٍ، أَنْ تُطِيعَ تِلْكَ الدَّعْوَةَ الَّتِي أَعْطَاهَا اللهُ إِيَّاهَا. حَسَنًا، نَرَى هُنَا مُجَدِّدًا أَنَّ المَلَاكِ أَدَّى دَوْرَ رُسُولٍ وَكَذَلِكَ دَوْرَ نَاقِلٍ مُفَوِّضٍ لِكَلِمَةِ اللهِ.

هُنَاكَ مَقْطَعٌ آخِرٌ أَوْدُ أَنْ أَلْفِتِ انْتِبَاهَكُمْ إِلَيْهِ مِنَ العَهْدِ القَدِيمِ، يَتَعَلَّقُ بِرِيَاةِ المَلَايِكَةِ. وَهُوَ مَقْطَعٌ يُمَثِّلُ إِشْكَالِيَّةً وَلُغْزًا إِلَى حَدِّ مَا. وَهُوَ فِي الأَصْحَاحِ ٥ مِنْ سِفْرِ يَشُوعَ، حِينَ كَانَ يَشُوعُ يُعِدُّ جَيْشَهُ لِلهُجُومِ عَلَى أَرِيحَا، وَأَدْرَكُوا أَنَّ أَرِيحَا حَصِينَةٌ، وَأَنَّ جُنُودَ أَرِيحَا خُصُومٌ هَائِلُونَ. وَإِذَا أَرَادَ يَشُوعُ وَكَتَائِبُهُ أَنْ يَنْتَصِرُوا فِي عَزْوِ كَنْعَانَ، سَيَكُونُ عَلَيْهِمُ التَّغَلُّبُ عَلَى أَرِيحَا. ثُمَّ قَبْلَ المَعْرَكَةِ مُبَاشَرَةً، نَفَرًا هَذَا الحَدِثِ البَسِيطِ فِي الأَصْحَاحِ ٥، وَالآيَةِ ١٣. "وَحَدَّثَ لَمَّا كَانَ يَشُوعُ عِنْدَ أَرِيحَا أَنَّهُ رَفَعَ عَيْنَيْهِ وَنَظَرَ، وَإِذَا بِرَجُلٍ وَاقِفٍ قُبَالَتِهِ، وَسَيْفُهُ مَسْلُورٌ بِيَدِهِ. فَسَارَ يَشُوعُ إِلَيْهِ وَقَالَ لَهُ: "هَلْ لَنَا أَنْتَ أَوْ لِأَعْدَائِنَا؟".

رَأَى يَشُوعُ هَذَا الرَّجُلَ، وَانصَبَ تَرْكِيضُهُ أَوَّلًا عَلَى الإِمْكَانِيَّاتِ العَسْكَرِيَّةِ. فَقَدْ لَاحَظَ أَنَّ الرَّجُلَ يَبْدُو مُحَارِبًا مِعْوَارًا، وَهُوَ لَمْ يَرَهُ مِنْ قَبْلُ، وَلَمْ يَكُنْ يَدْرِي إِنْ كَانَ وَاحِدًا مِنْ جُنُودِهِ الَّذِينَ لَمْ يَلْتَقِ بِهِمْ قَبْلًا، أَمْ هُوَ مُحَارِبٌ جُلِبَ لِلدِّفَاعِ عَنِ سُكَّانِ أَرِيحَا. هَذَا مَا أَرَادَ يَشُوعُ مَعْرِفَتَهُ. إِلَى أَيِّ فَرِيقٍ يَنْتَمِي؟ وَفِي صَفِّ مَنْ سَيُحَارِبُ؟ فَجَاءَ إِلَيْهِ وَقَالَ: "هَلْ لَنَا أَنْتَ أَوْ لِأَعْدَائِنَا؟". وَجَاءَ الرَّدُّ عَجِيبًا. وَهُوَ "كَلَّا".

ذَهَبْتُ اليَوْمَ الفَائِتِ إِلَى مَحْظَةِ الوُقُودِ وَمَلَأْتُ خَرَازِنَ سَيَّارَتِي، ثُمَّ دَخَلْتُ لِأَدْفَعَ المُقَابِلَ، وَكُنْتُ أَحْمِلُ بِطَاقَةَ ائْتِمَانِي. فَسَأَلَنِي الرَّجُلُ: "ائْتِمَانُ أَمْ بِالْخُصْمِ؟" لَمْ أَكُنْ قَدْ سَمِعْتُ عَنْ ذَلِكَ مِنْ قَبْلُ، فَقُلْتُ: "مَاذَا تَقْصِدُ؟ وَمَا الفَرْقُ؟" مَا زِلْتُ لَا أَعْرِفُ الفَرْقَ إِلَى اليَوْمِ بَيْنَ الدَّفْعِ بِالِائْتِمَانِ وَالدَّفْعِ بِالْخُصْمِ. لَكِنْ عَلَى أَيِّ حَالٍ، حِينَ سَأَلْتُ: "ائْتِمَانُ أَمْ بِالْخُصْمِ؟" كَانَ لَا بُدَّ مِنْ أَنْ أُخْتَارَ أَحَدَ الخِيَارَيْنِ.

وَهَذَا مَا كَانَ يَشُوعُ يَتَوَقَّعُهُ. أَنْ يُخْتَارَ هَذَا المُحَارِبُ أَحَدَ الخِيَارَيْنِ. "هَلْ لَنَا أَنْتَ أَوْ لِأَعْدَائِنَا؟" فَقَالَ: "كَلَّا، بَلْ أَنَا رَيْسُ جُنْدِ الرَّبِّ. الْآنَ أَتَيْتُ". فَسَقَطَ يَشُوعُ عَلَى وَجْهِهِ إِلَى الأَرْضِ وَسَجَدَ، وَقَالَ لَهُ: "بِمَاذَا يُكَلِّمُ سَيِّدِي عَبْدَهُ؟" فَقَالَ رَيْسُ جُنْدِ الرَّبِّ لِيَشُوعَ: "الْخَلْعُ نَعْلِكَ مِنْ رِجْلِكَ، لِأَنَّ المَكَانَ الَّذِي أَنْتَ وَاقِفٌ عَلَيْهِ هُوَ مُقَدَّسٌ".

حِينَ تَحَدَّثْنَا عَنْ جِبْرَائِيلَ، وَعَنْ مِيخَائِيلَ، رَأَيْنَا أَنَّهُمَا يَحْمِلَانِ لَقَبَ إِمَّا رَئِيسَ مَلَائِكَةٍ أَوْ قَائِدَ الْجَيْشِ السَّمَاوِيِّ. لَكِنْ سَنَتَحَدَّثُ عَنْ شَيْءٍ، عَلَى مَا أَرْجُو، فِي الْمُحَاضَرَةِ الْمُقْبِلَةِ، وَهُوَ أَنَّهُ لَا يَجِبُ أَبَدًا أَبَدًا السُّجُودَ لِلْمَلَائِكَةِ. لَكِنَّا نَقْرَأُ هُنَا أَنَّ يَشُوعَ سَقَطَ عَلَى وَجْهِهِ وَسَجَدَ لِرَئِيسِ جُنْدِ الرَّبِّ، دُونَ أَنْ يَسْمَعَ تَوْبِيخًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ. فَعِنْدَمَا يَتَجَاوَبُ الْبَشَرُ بِالسُّجُودِ لِلْمَلَائِكَةِ، يَمْنَعُهُمُ الْمَلَائِكَةُ دَائِمًا. وَبِمَا أَنَّ هَذَا الْمَلَائِكَةَ قَبْلَ السُّجُودِ مِنْ يَشُوعَ، يَرَى مُعْظَمُ الْعُلَمَاءِ أَنَّنَا نَقْرَأُ هُنَا عَنْ كَرِيسْتُوفَانِي سَابِقٍ لِلتَّجَسُّدِ، وَأَنَّ الْمَسِيحَ هُوَ هَذَا الرَّئِيسُ، وَهُوَ الَّذِي ظَهَرَ لِيَشُوعَ. وَحِينَ سَأَلَهُ يَشُوعُ: "هَلْ لَنَا أَنْتَ أَوْ لَهُمْ؟" أَجَابَ: "كَلَّا، بَلْ أَنَا الْمُسَيِّطِرُ. لَيْسَ السُّؤَالُ هَلْ سَأَكُونُ لَكُمْ، بَلْ هَلْ أَنْتُمْ سَتَكُونُونَ لِي؟" لَكِنَّ هَذَا يُبَيِّنُ مُجَدَّدًا مَسْأَلَةَ عِبَادَةِ الْمَلَائِكَةِ، الَّتِي سَنَتَنَاوَلُهَا فِي مُحَاضَرَتِنَا الْمُقْبِلَةِ.

الدُّكْتُورُ أَرْ. سِي. سَبْرُولُ هُوَ مُؤَسِّسُ هَيْئَةِ خِدْمَاتِ لِيْجُونِيرِ، وَكَانَ أَحَدَ رُعَاةِ كَنِيسَةِ الْفِدَيْسِ أَنْدَرُو (St. Andrews Chapel) فِي مَدِينَةِ سَانْفُورْدِ بُولَايَةِ فُلُورِيدَا، كَمَا كَانَ أَوَّلَ رَئِيسِ لِكَلِّيَّةِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ لِلِإِصْلَاحِ (Reformation Bible College). وَهُوَ مُؤَلِّفُ أَكْثَرِ مِنْ مِائَةِ كِتَابٍ، بِمَا فِي ذَلِكَ "كُنَّا لَاهَوْتِيُونَ" و"أَدَهَسَنِي الْأَلَمُ".